كلمة فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ ذياب بن سعد الغامدي

عن كتب الأستاذ الشيخ/ أحمد بن عصام النجار

الحمد لله حمدا كثير طيبا مباركا فيه، والصلاة والسلام على عبده ورسوله المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛ فإنَّ الله تعالى جَعَلَ هذه الأمةَ خيرَ الأمم، وجعلَ نبيَّها أفضل الأنبياء والرسل، وجعلَ علماءَها وَرَثَةَ الانبياءِ، وجعلها أمةً مرحومةً لَا ينقطعُ خيرها ولَا ينفدُ عطاؤها!

فالحَقُّ فيها ظاهر والباطل فيها زاهق، فلَا يكتمون حَقًّا، ولَا يجتمعون على ضلالة!

فذِكْرُ فَضَائِلِ هذه الأمةِ وتَدْوِيْنُ مَحَاسِنِهَا مِمَّا يَعْسُرُ جمعُهُ ويَصْعُبُ ضَبْطُهُ، ففي كل «آية» عندهم: حِكَمٌ وآياتٌ، وفي كل «سُنَّةٍ» لهم: سَنَنٌ وغَايَاتٌ، وفي كل «عَالِمٍ» لديهم: عُلُومٌ وإبْدَاعَاتٌ.

فحنانيك! فقد قال الله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ولَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لهم مِنْهُمُ المُؤْمِنُونَ وأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ} [آل عمران:١١٠]، وقال النبيُّ ﷺ: «لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وهُمْ ظَاهِرُونَ» متفق عليه، وفي رواية: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وهُمْ ظَاهِرُونَ على النَّاسِ» مسلم. وقال ﷺ : «لا يَزالُ اللهُ يَغْرِسُ في هذا الدِّيْنِ غَرْسًا يستعملهُم في طاعتهِ» أحمد وابن ماجه، وقال ﷺ: «إذا أرادَ اللهُ بعَبْدٍ خيرًا استعملَهُ». فقيلَ: كيفَ يستعملُهُ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «يوفِّقُهُ لعملٍ صالحٍ قبلَ الموتِ» الترمذي.

وهكذا تظافرت الأدلة الشرعية على فضل هذه الأمة، وأنَّهَا خيرها باقٍ مَا بقي الليلُ والنهارُ، فمن ذلك:

أنَّ صَوتًا جَهْوَرِيًّا من أرض الكنانة لم يزل يعلو صَدَاهُ في الأوساط العلمية مُنَادِيًا إخْوانَهُ المسْلِمِينَ: بحَيْهَلا؛ ولِسَانُ حَالِهِ: أنَا جُذَيْلُهَا المحَكَّكُ وعُذَيْقُها المرَجَّبُ!

إنّه صوتٌ خَفِيٌّ، ونِداءٌ حَفِيٌّ، فيه حَنِيْنٌ وحبٌّ لأئمة السلف الربانيين، وفيه أيضا زَمْزَمَةٌ وهَمْهَمَةٌ لأعداءِ أئمة الإسلام والدين!

إنّه صوتُ شابٍّ صاعدٍ من شباب المسْلِمِينَ، وطليعةُ فَوَارِسِ المُبْدِعينَ، خَرّيجُ بيتِ العلم والدين.

إنّه الشيخ المحقق المدقق، والابن البارع، والشاب اليافع، والسلفي الضالع: أحمدُ بنُ عِصَامٍ النَّجَّارُ المِصْريُّ، حفظه الله ورعاه وسدد خطاه، ولَا أزكيه على الله!

وخَبَرُ هذا الشاب: أنَّ اللهَ تعالى قَدَّرَ لي يومًا بأن أقف على بعض كتبه، ولم أكن آنذاك أعرفه، ولم أكن أيضا مُحِبًّا لقراءة مكتوبات بعض الشباب الصاعد ممن لهم عَجَلَةٌ في التأليف؛ لكنني في عام (١٤٤٦)، كنتُ في زيارةٍ لمعرض الكتابِ الدولي في مِصْرَ العزيزةِ، وبينما كنتُ أتجوَّلُ في جنبات مكتبات المعرض أُفتِّش عن نوادر المؤلفات ومهمات المصنفات إذْ بي أقفُ على كتابٍ بعُنوانِ: «نظرية الزمان والمكان عند ابن تيميّة = بحثٍ في الدَّلالة الفلسفية والشرعية وبيان آثارها في البحث العقدي»، فعندها استوقفني عُنْوانُ الكتاب؛ لكونه

يَخُصُّ شيخَ الإسلامِ ومفتي الأنام: أبا العباسِ تقيَّ الدينِ ابنَ تيميّةَ الحرانيَّ الدِّمَشْقيَّ (٧٢٨)، وكان العُنوانُ أيضا غَارِقًا في بعض مُعْضِلاتِ المسائلِ التي حارت عندها العقولُ وضلَّتْ فيها الأفهامُ، وأحْسِبُهَا مِنَ المسائل التي أشْغَلَتِ الفلاسفةَ وأَهْلَ الكلامِ، بَلْ وتناقضت فيها أقوالُهم وتعارضت حولها أفكارُهم، والتي كانت أيضا مَحَلَّ اهتمامٍ عند شيخِ الإسلامِ ابن تيميّةَ رَحِمَهُ اللهُ، فقلت في نفسي: مَا لهذا الشَّابِ وهذا الموضوعِ؟!

ومهما يكن من عَجَبٍ! فَإنّه يَصْعُبُ عليَّ – ضَرُورَةً – تجاوُزُهُ أو مُفَارَقَتُهُ دون اقتنائِه والنظرِ فيه مهما كان الأمرُ، فعِنْدَهَا اقتنيتُهُ كأنّه نُهْبَةٌ لَا أَلْوِي فيه على أحَدٍ – وأَلْبَسْتُهُ كِيْسًا خَاصًّا كي أُمَيِّزُهُ عن غيره من الكتب التي بين يدي – فلما وصلت مَحَلَّ إقامتي في القاهرةِ، أخرجت الكتاب من كيسه، ونظرتُ فيه لعَلَّ وعَسَى أجِدُ فيه بُغْيَتِي ولَوْ بطرفٍ مِنَ التَّذكيرِ!

فلمّا جَالَ نظري في تَنَوُّعِ فهارسِهِ وفُصُولِ مَبَاحِثِهِ استوقفني الفُضُولُ؛ لسابقِ عِلْمِي بخطر مسالك هذه المباحث، وضيق مخارجها، وصعوبة مطارحتها؛ فجلست له جلسةَ الناقدِ البصيرِ؛ فقرأْتُهُ في جلسةٍ واحدةٍ، فعجِبْتُ من سِعَةِ مدارك الشابِ أحمدَ النَّجارِ، وقوّةِ حججه وكثرةِ مسالك حِجَاجِهِ، واستحضارِهِ لكلامِ ابنِ تيميّةَ في المسألةِ – تقريرا وتحريرا –.

كما أنني سَرَّحْتُ نظري في مباحث الكتاب وأجلت فكري في موضوعاته؛ فكان عِلْقًا نفيسا وكتابا بديعا جمع فيه تقريرات أهل السنة مع الرد على الشبه الكلامية، كُلُّ ذلك بقلم الجِهْبِذِ الحكيم والناصح الأديب، بَلْ إخاله قَدْ ساق مكتوباته بعَصَى الراعي القوي الأمين، والسَّاقي السخي الكريم، فكأنه بَدْرٌ قد ارْتَقَى في سماء كتب العقائد السلفية الرَّادَّةِ على أهل الأهواء والبدع، فجَزَاهُ الله عن السنة وأهلها خيرَ الجزاء.

ثم بعدها؛ دفعني الفُضُولُ العلميُّ فاقتنيت جميعَ كتب «**النَّجَّارِ**» مثل كتاب: «نقضِ ابن تيمية لمفهوم العَدَمِ والمِلَكَةِ»، و«أباطيل المنطق والكلام»، و«مسألةِ حُدُوثِ العَالَمِ بين ابن تيمية والفلاسفة والإلحاد المعاصر»، و«حُرِيَّةِ الإرادة بين أهل الحديث والأشاعرة والمعتزلة والشيعة»، و«القراءة العَلَموية للإسلام = أحمد خيري العمري أُنْمُوذجًا»، فلما قرأتُ أكثرها؛ عَلِمْتُ بأنَّ الأُمَّةَ وَلَّادَةٌ والخَيْرُ فيها باقٍ إلى قيام الساعة!

ومِمَّا زادني عَجَبًا أيضا – وعَجَائِبُ هذا الشَّابِ لَا تَنْتَهِي – أنِّي لَمَّا اسْتَضَفْتُه في مَحَلِّ إقَامَتِي وتدارستُ معه بعضَ الموضوعات العلمية الكلامية، أخبرني عن نفسه: بأنه قَدْ بلغ من العمر وقتئذ: ثمانٍ وعشرين سَنَةً، بَلْ أعْجَبُ من هذا: أنَّهُ أخبرني بأنَّهُ ألَّفَ كتابه: «نظرية الزمان والمكان عند ابن تيمية»، وكان عُمُرُهُ آنذاك: أربعا وعشرين سَنَةً، فياللعجب، فَمَا زِدْتُ على قَوْلِ: ماشاء الله بارك الله!

فعندها عجبت لهذا الشاب؛ لأنّ ظني بمن هذه حَالُهُ: أنَّهُ سيكون يوما من الأيام مُنَظِّرًا لأهل السنة والجماعة في مدارسة مثل هذه المسائل المُعْضِلَةِ الكلامية التي تكاثرت حولها أقْوالُ الفلاسفة وترامت عندها شُبَهُ المتكلمين!

وكم كنت أتمنى – أنا وغيري – أن يَبْعَثَ الله تعالى لهذه الأمة في هذا العصرِ: رَجُلًا له مَعرفةٌ تَامَّةٌ واخْتِصَاصٌ مَنْطِقيٌّ كي يحمل راية أهل السنة في بيان مسالك البحث والتنظير في مدارسة مثل هذه المسائل الفلسفية الكلامية؛ كي يكشفَ زيغها، ويهتكَ أستارها، ويَرُدَّ على شبهات أصحابها، ويَنْقُضَ فَسَادَ مَقَالَاتِهِم؛ بحيث يقف معها مَوْقفَ العالِمِ الأثري والمنظِّرِ السَّلفي تَنْظِيرًا لَهَا ورَدًّا على المخالفين فيها من الفلاسفة والمتكلمين؛ لاسيما أشاعرة العصر الَّذِينَ ظهرت لهم هذه الأيام نَوَابتُ فَاسِدَةٌ وأقوالٌ مُضَلِّلَةٌ، واللهُ مُحِيطٌ بالظالمين.

وأحْسِبُ أنَّ هذا الشاب: أهْلًا لهذا النِّزالِ العلمي وفَارِسًا لهذا المِضْمَارِ الكلامي الَّذِي عَجَزَ عَنْهُ بعض العلماء المعاصرين؛ فضلا عمن سواهم، ولَا نزكي على الله أحدا!

وعليه؛ فإنَّ آية ذلك – بل أعظمها وأنفعها –: أنك ترى العبد منكفا معتكفا على موروث الأنبياء – علمًا وحكمةً – ينهل منها ما يشاء ويدع ما يشاء، كَمَا قال تأسِيًّا بنبيِّ اللهِ يَحْيَى إذْ دَعَى له أبُوهُ زَكَريا – عليهما السلام – بأنْ يَرِثَهُ النُّبُوَّةَ التي هِيَ رأسُ العلم وتاجُ الحكمة وأفضلُ ما يُعطاه المصطفون الأخيار، كما قال تعالى: {فَهَبْ لِي من لَدُنْكَ وليًّا يَرِثُنِي ويَرِثُ من آلِ يَعْقُوبَ} [مريم:٥– ٦]، وقد قال النبي ﷺ: «إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهمًا إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر» الترمذي.

وهذا مما استقر عِلْمُهُ عند جميع الأمم: بأنَّ العلمَ هُوَ إرثُ الأنبياء، فمن أخذ به – علما وعملا – فهو من ورثتهم قلَّ أو كَثُرَ!

وحسْبُنَا أنَّ الابنَ الشيخَ أحمدَ النَّجَّارَ: يُعدُّ من خلال مصنفاته التي بحثت مثل هذه المسائل الكلامية وَاحِدًا من ورثة الأنبياء؛ بل إخاله من ورثة خيرِ الأنبياء محمدٍ ﷺ!

فهذه كتبه شاهدةٌ بهذا الإرث النبوي العظيم الذي كتبه لعموم المسلمين ما يدل على نبوغِهِ وسِعَةِ اطِّلاعِهِ وقوةِ منزعه، وحجةِ دلائله النقلية والعقيلة، والله حسيبه!

فكل كُتُبِ «**النَّجَّارِ**» – التي قرأتها من بابها إلى محرابها –: تُعَدُّ طليعةً علميةً سلفيةً سبيلُهَا الردُّ على مقالات أهل الأهواء والبدع؛ لَا سِيَّما على الأشاعرة المعاصرين؛ ممن نكثوا العهد مع إمامهم أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللهُ، المتوفى سنة (٣٢٤)؛ إذْ خَالَفُوهُ في تقريراته وتحريراته؛ لَا سِيَّمَا في كتابه الأخير: «الإبانة»، كَمَا أنَّهُم أيضا تطاولوا على معتقدات أهل السنة والجماعة بالنقض والاعتراض، كَمَا أنَّهُم لم يكفوا بَسْطَ ألْسِنَتِهم في مناصبةِ العداءِ لشيخِ الإسلامِ ابنِ تيميّةَ رَحِمَهُ اللهُ، وهذا مَا جادت به قريحةُ الابنِ المباركِ أحمدَ النَّجَّارِ – حفظه الله وبارك في علمه وعمله –؛ حيث قام بواجب النصح والبيان والذب عن أئمة الإسلام بالدليل والتعليل، والله من وراء القصد.

وأخيرا؛ فإني أُكَرِّرُ شكري – بعد اللهِ! – **للابن المحقق المدقق الأستاذ: أحْمَدَ النَّجَّارِ حَفِظَهُ اللهُ**، فيما كتبه وحرَّرَهُ نُصْرةً مِنْهُ لمعتقدِ أهل السنة والجماعة، وردًّا على الافتراءات الباطلة التي وَجَّهَها أهلُ الأهواء والبدع إلى شيخِ الإسلامِ ابن تيميّةَ رَحِمَهُ اللهُ، مع مَا قام بِهِ أيضا من تقريرات وتوضيحات لمثل هذه المسائل الفلسفية الكلامية، فجزاه الله عنِ ابنِ تيميّةَ وأهلِ العلم خير الجزاء، والحمد الله رب العالمين.

وكتبه يَوْمَ الاثنين، الموافق (٥/محرم/١٤٤٧)

فضيلة الشيخ

أ . د/ ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي

الطائف المأنوس